مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

شِيهَانِي بَشِير

1955 - 1929

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009
ر . د . م . ك : 978-9961-884-33-1
الإيداع القانوني : 2009-5864

المتحف الوطني للمجاهد

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني :Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

الشهيد

شيهاني بشير

1955 - 1929

أَنْشَأَتْ مُؤسّسَةٌ تَربَوِيَّةٌ عدَّةَ نواد ثَقَافيَّة، منها نادٍ للمَسْرحِ، تَنْشَطُ فيه فرقَةٌ أطلَقَ عليها وعلى أعْضَائها أسْمَاءُ رَمْزيّةٌ؛ فاسْمُ الفرْقَة "وفاء" وأسْمَاءُ الأعْضَاء هِمْ عَلى التَّوَالي: "ذكرى" تَرْمُزُ إلى مُحَارَبَةَ النِّسْيَان وتَجَاهُلِ دَوْرِ الشُّهَدَاء الذين صَنَعُوا أمْجَادَ الجزائرِ، و "نضال" تَرْمُزُ إلى النِّضَال السِّيَاسيّ في صُفُوف المُقَاوَمَة والحَركَة الوَطَنيَّة قَبْلَ الثَّوْرَة، و "ناصر" يَرْمُزُ إلى جَيْشِ التَّحْرير الذي قَادَ الثَّوْرَةَ إلى النَّصْر، و "خالد" يَرْمُزُ إلى تَخْليدِ مَآثِرِ من شَاركُوا في صُنْعِ مَجْدِ الجزائر.

ومُسَاهَمَةً من الفرْقَة في إحْيَاء ذكْرَى اسْتشْهَاد شيهاني بشير قَدَّمَتْ نَشَاطًا أَمَامَ تَلاَميذِ المُؤسَّسةِ والأسَاتِذَةِ والمدْعُوِّينَ،

تَمَثَّلَ في الآتي:

صَعِدَتْ "ذكرى" المنَصَّةَ وهي تَلُفُّ جَسَدَها بالعَلَمِ الوَطَنيّ وتَحْمِلُ مشْعَلاً بيَدٍ وَصُورَةَ الشَّهيد بالأخْرَى، وقدْ كَتَبَتْ أسْفَلَهَا تَاريخَ اسْتشْهَاده، ثُمَّ قَالَتْ: اسْمي "ذكْرَى" وهذا مَشْعَلُ الشَّهيد وهذه صُورَةُ شَهيدٍ، لاشَكَّ أنَّ بَعْضَكُم يَعْرِفُهُ، فَارْتَفَعَ صَوْتٌ قَائلاً: كان يُعْرَفُ في الغَرْبِ الجَزَائريّ باسْمِ "سي الهواري"، وصَوْتٌ آخرُ قَائلاً: كان يُعْرَفُ في الأوراسِ باسْمِ "سي المسعود"، وثَالثٌ قَالَ: بَلْ هو "بشير شيهاني" ابنُ مَدينَة "الخروب" القَريبَة من مَدينَة قسنطينة، فرَدَّ عليه آخَرُ قَائلاً: بل الصَّحيحُ هو "بشير شيحاني". حينَئذٍ أظْهَرَتْ "ذكرى" شَهَادَةَ ميلاَد الشَّهيد المُسْتَخْرَجَةِ من البَلَديَّةِ التي وُلِدَ فيها، وقَرَأَتْهَا

على مَسَامِعِ الحَاضِرِينَ:

في يَـوْمِ 22 أفـريل 1929 وُلِـدَ بـالخـروب بـشير شيهاني ابن رمضان، وصخري حَدَّة، وبها تَـلَقَّى تَـعَـلُّـمَهُ الابْـتِـدَائِيّ بـالمدرسة الفـرنـسيّـة، والـدّيـنيّ بـزَاويَـة سـيـدي "احـمـيـدة". نَـشَـأ وَسَطَ عَـائِلَة مَيْـسُـورَة الحَال مَـعْـرُوفـة بـالصَّلاحِ، فَـرَبَّـتْهُ على الفَضِيلَةِ وحُبِّ الخَيْرِ والاسْتِقَامَة.

بَـعْـدَهَـا تَـدَخَّـلَـتْ زَمِـيـلَـتُـهـا "نـضـال" لِـتَـقْـرَأَ مَـا كَـتَـبَـتْ في دَفْـتَـرِهـا، فـقَـالَـتْ:

دَخَلَ "بـشـيـر شـيـهـانـي" مُـعْـتَـرَكَ الحَـيَـاة الـسِّـيَّـاسِـيَّـة قَـبْـلَ مُـغَـادَرَتِـه مَـقَـاعِـدَ الـدِّرَاسَـة، بَـعْـدَ مَجَازِرِ 08 ماي 1945، مـن خلاَل انْـضـمَـامِـه إلى خَـلِـيَّـة الـطَّـلَـبَـة الـتـي أَنْـشَـأَتْـهَـا حَـرَكَـةُ الانْـتِـصَـار للـحُـرِّيَّـاتِ الدِّيمُقْـرَاطِـيَّـةِ بالمُؤسَّسَةِ التي كَانَ يُزَاوِلُ

دراسَتَهُ فيها. قَامَ بشير في تلك الخَليَّة بدَوْرٍ كَبيرٍ في تَعْبئَة الطُّلاَب وتَوْعيَتهم، وإطْلاَعهمْ على المُسْتَجدَّات، ولمّا أَنْشئَتَ المُنَظَّمَةُ الخَاصَّةُ (L'O.S) في فبراير عامَ 1947، تَكَوَّنَتْ خَليَّةٌ من خَلاَيَاهَا بحَيِّ الخروب، فَأصْبَحَ بشير عُضْوَاً بَارزَاً فيها. ونَتيجَةً لدَوْره الكَبير في النِّضَال مَثَّلَ مُتَرَشِّحي حَركَة الاَنْتصَار للحُرِّيَّات الدِّيمُقْرَاطيَّة في انْتخَابَات جويلية 1948، ولمّا أدَّى المُهمَّةَ عَلَى أحْسَن وَجْه ازْدَادَتْ ثقَةُ مَسْؤُوليه فيه، وفي نَفْسِ الوَقْتِ جَلَبَ سُخْطَ الإدَارَة الفرنسيّة عليه.

بَعْدَ ذلك أسْدلَ السِّتَارُ على المنَصَّة (المِصْطَبَة) لتَحْضير تَمْثيل المَشْهَد الأوَّل:

المَشْهَدُ: رَئيسُ بَلَديَّة الخروب، من كبَار المُلاَّك الأُورُوبيّينَ للأرَاضي بالجهَة، يَدْخُلُ عليه

الحَاجِبُ فيَقُولُ:

سَيِّدي الرَّئيسُ، لقد حَضَر شيهاني رمضان، الذي اِسْتَدْعَيْتَهُ للمُثُولِ بين يَدَيْك.

رئيسُ البَلَدِيَّةِ: دَعْهُ يَدْخُلْ.

يَدْخُلُ رمضان، فيُبَادِرُهُ الرَّئيسُ بالكَلاَمِ، دُوَن أَنْ يَسْمَحَ له بِالجُلُوسِ:

هلْ أَنْتَ وَالِدُ بشير شيهاني؟

رمضان: أَجَلْ، ماذا تُرِيدُ مِنِّي؟

رَئيسُ البَلَدِيَّة: أريدُ أَنْ تَمْنَعَ وَلَدَكَ مِنَ النَّشَاطِ المَشْبوهِ الذي يَقومُ به وَسَطَ التّلاميذ.

رمضان: إِنَّهُ يَدْرُسُ كَبَقِيَّةِ زُمَلاَئِهِ، هلْ تُرِيدُ مِنِّي أَنْ أوقِفَهُ عن الدِّرَاسَة؟!

رَئِيسُ البَلَدِيَّةِ: بَلْ أريدُ أن تَمْنَعَهُ من

النَّشَاطَاتِ التي لا عَلاَقَةَ لها بالدِّرَاسَة.

رمضان: لا أعْرِفُ نَشَاطًا يَقُومُ به غَيْرَ الدِّرَاسَةِ، فأنا كما تَعْلَمْ مُنْشَغِلٌ بتَسْيِيرِ المَقْهَى.

رَئيسُ البَلَديَّة: قد تَتَعرَّضُ المَقْهَى التي تَتَحدَّثُ عنها إلى الغَلْقِ؛ إنْ لم يَتَوَقَّفْ وَلَدُكَ عَمّا أخْبَرْتُكَ به...

عَادَتْ "نضال" لِتُوَاصِلَ قِرَاءَةَ ما دَوَّنَتْهُ في دَفْتَرِها فقَالَتْ:

يُعْتَبَرُ بشير الابْنَ البِكْرَ في أسْرَةِ رمضان؛ كان شَابًّا نَحيفَ الجِسْمِ ضَعيفَ البِنْيَة، لَكنَّهُ كان حَيَويًّا نَشيطًا يُحْسنُ إدَارَةَ الحِوَارِ وأسْلُوبَ الإقْنَاعِ بِالحُجَجِ الدَّامغَة والبَرَاهِينِ السَّاطعَة والكَلِمَاتِ البَلِيغَةِ؛ يَصْدُقُ عليه قَوْلُ الشَّاعِرِ،

العَبّاس بن مرداس:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحيفَ فَتَزْدَريه
وفي أَثْـوَابِهِ أَسَـدٌ هَصُورُ

ظَلَّتْ قُوَّاتُ البُولِيس تُتَابِعُ نَشَاطَاتِه بين زُمَلائِه، وفي الأَخِيرِ ضَغَطَتْ عَلى إِدَارَةِ المُؤَسَّسَةِ التي كَان يَدْرُسُ فيها لِمَنْعِهِ من مُوَاصَلَةِ التَعَلُّمِ عَامَ 1949.

ورَغْبَةً منه في مُوَاصَلَةِ دراسَتِه رَحَلَ إلى تُونس، لكنَّهُ لمْ يَجِدْ من يُؤْوِيه، فَعَادَ إلى مَسْقَط رَأسه عَامَ 1950، ومَارَسَ تِجَارَةَ بَيْعِ التُّمُورِ دُونَ أَنَ يَتَخَلَّى عن نضَالِه السِّيَاسِيّ في صُفُوفِ حَرَكَةِ الانْتِصَارِ للحُرِّيَّاتِ الدِّيمُقْرَاطِيَّة.

أَسْدَلَ السِّتَارُ مَرَّةً أخْرَى لِتَحْضِيرِ مَشْهَدٍ آخرَ، ولَمّا أزِيحَ ظَهَرَ شَابٌّ جَالِسٌ في مَقْهًى

يَرْتَشفُ قَهْوَةً، يَدْخُلُ عَلَيْه رَجُلٌ آخَرُ، وبَعْدَ تَبَادُلِ التَّحِيَّةِ دَارَ بينهما الحِوَارُ الآتي:

بشير: مَنْ؟ ابْنُ خَالَتِي!

ابْنُ الخَالَةِ: نَعَمْ ، هُوَ بِعَيْنِه.

بشير: مَتَى أحِلْتَ على التَّقَاعُدِ من الجَيْشِ الفَرَنْسِيّ؟

ابنُ الخَالَةِ: مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَة.

بشير: إذن، قد تَزَوَّجْتَ دون أن تَدْعُونا للعُرْسِ؟

ابْنُ الخَالَةِ: مَا زِلْتُ لمْ أعْثُرْ على الفَتَاةِ التي تُنَاسِبُنِي.

بشير: لِمَ لاَ تَخْطُبُ ابْنَةَ خَالَتِكَ؟

ابْنُ الخَالَةِ: لأنَّهَا تَصْغُرُنِي كَثِيراً ، وأخَافُ

-إن رَضِيَتْ هي- أن يَرْفُضَني أبُوك.

بشير: لا عَلَيْكَ، سأُقْنِعُهُ بذلك، والآنَ أَسْتَأذِنُكَ للانْصِرَاف، وسَأَتَدَبّرُ الأمْرَ بِنَفْسِي.

ابْنُ الخَالَة: رَافَقَتْكَ السَّلاَمَةُ، لن أَنْسَى لك هذا الجَمِيلَ أَبَدًا.

بعد مُغَادَرَة المُمَثِّلِينَ المَنصَّةَ وَاصَلَتْ "نضال" قِرَاءَةَ ما أَعَدَّتْهُ فَقَالَتْ:

أَخْبَرَ بشير وَالِدَهُ برَغْبَة ابْن خَالَته في الزَّوَاجِ من أُخْته، فَوَجَدَ عِنْدَهُ مُعَارَضَةً شَدِيدَةً، بِحُجَّة فَارِقِ السِّنِّ الكَبِيرِ بينهما، إلاَّ أن بَشِيرًا أَصَرَّ على إِتْمَامِ الزَّوَاجِ لِحَاجَةٍ في نَفْسه، لم يُصَرِّحْ بها لغَيْرِه. وبعد أَنْ تَمَّ الزَّوَاجُ طَلَبَ من صِهْرِه أَنْ يَبْحَثَ عن سَكَنٍ يَلِيقُ بِمَقَامِ أُخْته، فَقَدَّمَ صِهْرُهُ طَلَبًا لإِدَارَةِ الثُّكْنَةِ العَسْكَرِيَّةِ بِالتِّلاغْمَة

التي يَسْكُنُ بها الضُّبَّاطُ وضُبَّاطُ الصَّف الفرنسيّونَ للحُصُول على سَكَنٍ بها، فَحَظِيَ طَلَبُهُ بالقَبُول، لأنَّهُ قَضَى مُدَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً مُتَطَوِّعًا في صُفُوف الجَيْش الفرنسيّ، حتّى تَحَصَّلَ على رُتْبَة ضَابط صَفٍّ؛ فَصَارَ بإمْكَان بشير التَرَدُّدُ على الثُّكْنَة بحُجَّة زيَارَة أخْته، وبذلك تَحَقَّقَ له مُرَادُهُ من تَزْوِيجِ أَخْتِهِ من ابْنِ خَالَتِه.

في عام 1950 اكْتَشَفَت السُّلُطَاتُ الفَرنسيّةُ المُنَظَّمَةَ الخَاصَّةَ، التي أَنْشَأَتْهَا حَرَكَةُ الانْتصَار للحُرِّيَّات الدِّيمُقْرَاطيَّة، فلمّا اشْتَدَّتْ مُطَارَدَاتُ مَصَالِح الأَمْن لأعْضَائها، تَفَرَّقَ الكَثيرُ منهم، واخْتَفَوْا عن الأنْظَار رَيْثَمَا تَهْدَأ المُطَارَدَةُ، فانْتَقَلَ بشير إلى نَاحيَة بشّار، وعُرِفَ هناك بِاسْمِ "الهواري". وبعد هُدُوءِ العَاصِفَة، تَجدَّدَت

الاتِّصَالاَتُ بين أعْضَاء الْمُنَظَّمَة الخَاصَّة، فَأحْيَوْا جَذْوَةَ النِّضَال من جَديد، وعَادَ بَشير إلى مَسْقَط رَأسه، واتَّصَلَ بصهْره السَّاكن بثُكْنَة التَّلاَغْمَة، فَعَرَضَ عليه تَجْديدَ فَتْرَة تَطَوُّعيَّة أخْرى في صُفُوف الجَيْش الفرَنسيّ، فلَمْ يَسْتَطِعْ رَدَّ طَلَبه. وفعْلاً الْتَحَقَ به عَامَ 1951 تاركًا زَوْجَتَهُ بثُكْنَة التَّلاغْمَة، ليَتَوَلَّى رعَايَةَ شُؤُونها أخُوها بشير بنَفْسه. وفي مَطْلَع عام 1953، انْتَقَلَ إلى مَنْطَقَة الأوْرَاس فَتَوَطَّدَت العَلاَقَةُ بينه وبين بَعْض الْمُنَاضلينَ هناك.

فلمَّا عَادَ مُصْطَفى بن بولعيد من الجزائر، عَرَّجَ على شيهاني بشير ليُرَافقَهُ إلى منْطَقَة الأوراس، ليَكُونَ سَاعدَهُ الأيْمَنَ ومُسْتَشَارَهُ الْمُؤْتَمَنَ؛ وقَبْلَ الانْتقَال إلى الأوراس زَارَ أخْتَهُ بثُكْنَة التَّلاغْمَة.

تَوَقَّفَتْ "نضال" عن القِرَاءَة لتَفْسَحَ المَجَالَ لَمجْمُوعَةٍ من زُمَلائِها لِتَمْثِيلِ المَشْهَدِ الآتِي:

المَشْهَدُ: شَابٌّ وشَابَّةٌ يَتَحَدَّثَان في زَاوِيَةٍ، وشَابٌّ آخَرُ يَجْلِسُ وَحْدَهُ، يَرْتَشِفُ قَهْوَةً (يُمثِلونَ بَشِير شِيهَانِي وأُخْتَهُ ومُصْطَفَى بَنْ بُولعيد).

الفَتَاةُ: من هذا الرَّجُلُ الذي حَضَرَ معك، يا أخِي؟

بشير: هو مصطفى بن بولعيد، ألاَ تَعْرِفِينَهُ!

الأخْتُ: مِن أين قَدِمْتُمَا؟

بشير: من الخروب.

الأخْتُ: كيف حَالُ العَائلَةِ هناك.

بشير: هي بِخَيْرٍ، وأَفْرَادُهَا يُبْلِغُونَكَ السَّلاَم.

الأخْتُ: ما هي وِجْهَتُكُمَا هذه المرَّة؟

بشير: مِنْطَقَةُ الأوراس.

أَثْنَاءَ تَوْدِيعِهَا قَالَ: لا تَنْسَيْ شِرَاءَ جَرَائِدِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ الفَاتِحِ من شَهْرِ نوفمبر؟

الأخْتُ: ما هي المُنَاسَبَة؟

بشير: سَيَضْرِبُ القُطْرَ الجزائريَّ زِلْزَالٌ (يَقْصدُ انْدِلاَعَ الثَّوْرَة) أَقْوَى من زِلْزَالِ الأَصْنَامِ (الشَّلف حاليًا) في لَيْلَتِهِ، ولا شَكَّ أنّ الصِّحَافَةَ سَتَتَحَدَّثُ عنه.

بَعْدَ هذا المَشْهَدِ صَعدَ "ناصر" وهو يَرْتَدِي اللِّبَاسَ العَسْكَرِيَّ على أَنْغَامِ النَّشِيدِ الوَطَنِيّ، فَقَرَأَ ما أَعَدَّهُ:

أَدْرَكَتِ الثَّوْرَةُ بشير شيهاني بِمِنْطَقَةِ

الأوراس التي أحْدَثَت المُفَاجَأةَ من خلاَل كَثْرَة العَمَليَّات وشُمُوليَّتهَا وكَثْرَة الخَسَائر الفَادحَة التي ألحقَتْ بأفْرَاد العَدُوِّ ومُؤَسَّسَاته العَسْكَريَّة والمَدَنيَّة. وقَبْلَ تَوَجُّه مصطفى بن بولعيد مَسْؤُولُ المنَطَقَة الأَولَى إلى المَشْرق، عَيَّنَ القيَادَةَ التي تُسَيِّرُ المنْطَقَةَ أثْنَاءَ غيَابه وعلى رَأسهَا شيهاني بشير.

غير أنَّ اعْتقَالَ بن بولعيد في 11 فبراير 1955 أثْنَاءَ عُبُوره الحُدُودَ التُّونسيَّةَ اللِّيبيَّةَ (بنَاحيَة بن قردَان) أدَّى إلى بُرُوز أوْضَاعٍ وظُرُوفٍ صَعْبَةٍ بمنْطَقَة الأوراس، لَكن مُرُونَةَ وَحنْكَةَ شيهاني بشير حَالَتَا دُونَ تَعَثُّر مَسَار الثَّوْرَة بالمنْطَقَة.

لقد فَرَضَت الأوْضَاعُ المُسْتَجَدَّةُ بالمنْطَقَة على شيهاني بشير أن يَتَدَبَّرَ الأمْرَ لمُجَابَهَة الحَرْب

النَّفْسِيَّة التي كان يَشُنُّهَا العَدُوُّ ضدَّ الثَّوْرَة، وذلك بِفَضْحِ أكَاذيبه وادِّعَاءَاته التي رَوَّجَتْهَا مَصَالِحُهُ على جَمِيعِ الْمُسْتَوَيَاتِ وبشَتَّى الوَسَائِلِ التي سَخَّرَتْهَا لذلك.

وعلى إِثْرِ انْتِقَاله إلى شَرْقِ المَنْطَقَة للوُقُوف على مُجْرَيَات الأمُور التَّنْظِيمِيَّة والسِّيَاسِيَّة والعَسْكَرِيَّة، وَجَدَ نَفْسَهُ وَجْهًا لِوَجْهٍ مع قُوَّات العَدُوِّ التي كانت تَتَرَبَّصُ بالثَّوْرَة، ممَّا أدَّى إلى الدُّخُولِ معها في مَعْرَكَةٍ كُبْرَى.

ومع صَلاَة الفَجْرِ من يوم 22 سبتمبر 1955، سُمِعَ دَوِيُّ مُحَرِّكَات الآلِيَّات الحَرْبِيَّة بالقُرْبِ من المَكَانِ الذي تَحَصَّنَ فيه الْمُجَاهِدُون بِقِيَادَةِ شيهاني بشير.

وعند طُلُوعِ الشَّمْسِ، شَاهَدَ الْمُكَلَّفُون

بالحراسَة والمُراقَبَة الطَّلائعَ الأولَى لقُوَّات العَدُوِّ تَزْحَفُ نحو أبْطَال الأوراس وهم في مَخَابئهمْ ومَواقعهمْ كالأسُود مُسْتَعدُّونَ للْمُواجَهَة. وعنْد الضُّحَى، حَامَتْ أسْرَابُ الطَّائرات الاسْتكْشَافيَّة والمُقَنْبلَة في سَمَاء "الجرف"، ثُمَّ مَا لَبثَتْ أنْ شَرَعَتْ في رَمْي قَنَابل الدُّخَان في المَكَان الذي تحَصَّنَ فيه المُجَاهدُون إيذَانًا بِبَدْء القَصْف المَدْفَعيّ والجَوِّيّ.

وخلاَلَ المَعْركَة الضَّاريَة التي دَامَتْ نحوَ أسْبُوعٍ، تَكَبَّدَ فيها العَدُوُّ خَسَائرَ كبَيرَةً في العَدَد والعُدَّة، اشْتَدَّت المُوَاجَهَةُ بين الطَّرَفَيْن وَجْهًا لوَجْهٍ إلى دَرَجَة التَّقَاتُل بالسِّلاَح الأبْيَض، ممّا حَالَ دونَ استمْرَار قُوَّات العَدُوِّ في اسْتعْمَال سلاَح الطَّيَرَان والمَدْفَعيَّة. وقد مَكَّنَتْ هذه المُجَابَهَةُ المُبَاشرَةُ المُجَاهدينَ الأشَاوسَ من

الانْقضَاضِ على عَسَاكرِ العَدُوِّ، فَفَتَكُوا بهم فَتْكًا ذَرِيعًا، حتى غَدَتْ جُثَثُهُمْ وجُثَثُ بِغَالِهِم -المُسْتَعْمَلَةِ لنَقْلِ الأسْلحَةِ الثَّقِيلَةِ إلى مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ- مُتَنَاثِرَةً هنا وهناك، فصَارَتْ لُقْمَةً سَائِغَةً للطُّيُورِ، ودَبَّابَاتُهم المَعْطُوبَةُ وسلاَحُهُم من مُخْتَلَفِ الأنْوَاعِ غَنِيمةً لأبْطَالِ أمِّ المَعَارِك.

ولَمّا أدْرَكَ القَائدُ شيهاني أنّ العَدُوَّ قد فَقَدَ صَوَابَهُ وجُنَّ جُنُونُهُ بسَبَبِ الهَزَائِمِ التي تَكَبَّدَها في أمِّ المَعَارِك هذه، لم يَعُدْ يَكْتَرِثُ بالخَسَائِرِ التي أَلْحَقَتْ به، ما لم يَقْضِ على هؤلاء المُجَاهِدِينَ البَوَاسِلِ، أمَرَ رِفَاقَهُ بالاحْتِمَاءِ بالمَوَاقِعِ الحَصِينَةِ بِجَبَلِ الجُرْف.

وبعد المُعَانَاة الشَّديدَة بسَبَبِ الجُوعِ والعَطَشِ دَاخِلَ مَغَارةٍ لَجَأوا إليها، عَثَرُوا على مَنْفَذٍ صَغِيرٍ يَنْفُذُ منه النُّورُ، فحَوَّلُوهُ إلى مَخْرَجٍ

واسعٍ، وخَرَجُوا منه تبَاعًا. فلمَّا أصْبَحُوا خَارِجَ المَغَارَة شَاهَدُوا عَسَاكرَ العَدُوِّ مُتَمرْكزينَ في أسْفَلِ الوَادي، فلاَزَمُوا أمَاكنَهُمْ حتّى انْشغَلَ حُرَّاسُهُ بِتَنَاوُلِ العَشَاءِ، فانْسَحَبُوا، ونَجَوْا بأنْفُسِهِم...

ولّما وَصَلَ دَوْرُ "خالد" لقرَاءَة ما أعَدَّهُ هو الآخرُ، صَعدَ إلى المصْطَبَة علَى أنْغَامِ نَشيدِ "يَا شَهِيدَ الوَطَنِ، يَا مِثَالَ الوَفَاء..."، وقَالَ:

كان القَائدُ بشير من أبْرَز قَادَة مَعْركَة الجُرْف، التي يَصفُها البَعْضُ بأمِّ المَعَارك، والبَعْضُ الآخَرُ بمَعْركَة الشَّرَف، لأنَّهَا رَفَعَتْ مَعْنَويَّات المُجَاهدينَ، وأَنْصَار الثَّوْرَة، وأظْهَرَتْ للعَدُوِّ قَبْلَ الصَّديق مَعْدنَ المُجَاهد الجَزَائريّ، وأثْبَتَتْ للعَالَم أنّ ثُوَّارَ الجزائرِ لَيْسُوا من الفَلاَّقَةِ، ولا من قُطَّاعِ الطُّرُقِ، ولا من الخَارِجِينَ

عن القَانُون، ولكنَّهم ثُوَّارٌ تَوَّاقُونَ إلى الحُرِّيَّة، مُصَمِّمُونَ على مُوَاصَلَة القِتَال حتَّى الحُصُول على الحُرِّيَّة والاسْتِقْلاَل. شِعَارُهُم "النَّصْرُ أو الاسْتِشْهَادُ"...

ثمَّ تَنَهَّدَ خالد وواصَلَ قِرَاءَةَ ما دَوَّنَهُ في سجلِّه فقَالَ: وبَعْدَ هذا النَّصْرِ المُبِين، سَطَعَ في سَمَاءِ الجزائر نَجْمُ بشير، ولكن بعد مُرُور شَهْرٍ على هذا الانْتصَار أذِيعَ النَّبَأ المشْؤُومُ بأنّ النَّجْمَ قد غَابَ فَجْأَةً، فكان لغِيَابِه في أكتوبر 1955 وَقْعٌ كَبِيرٌ على النُّفُوس.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار